



قسم الشؤون الدينية
شعبة التليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

شذرات من حياة الرسول الأعظم

علماء

صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



شذرات

من

حياة الرسول الأعظم صلوات الله
وآله

إعداد

شعبته التبليغ

قسم الشؤون الدينية



أسم الكتاب : شذرات من حياة الرسول الأعظم ﷺ

إعداد : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر : العتبة العلوية المقدسة

المراجعة : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م

قياس : ١٥ × ١٠

عدد الصفحات : ٨٠

عدد النسخ : ٢٠٠٠٠

الموقع الإلكتروني : www.imamali.net

البريد الإلكتروني : tableegh@imamali.net

موبايل : ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الرسالة الإسلامية لما كانت النموذج الخاتم من رسالات السماء، فهي غاية الخلق والإيجاد في هذه الحياة، حيث قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١)، فالعبادة وما يترتب عليها من الاختبار والامتحان غاية الخلق والإيجاد، والدستور الذي افترضه الله سبحانه لهذه العبادة في الحياة هو دين الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ في دعوته ورسالته الخاتمة، ولكن لما أراد الله للإنسان في هذه الحياة أن يتدرج تدرجا طبيعيا في استعداداته العقلية والنفسية والأخلاقية لكي يتقبل هذا الدستور الإلهي، كان لابد - بمقتضى سنن الله التي أسس الحياة الدنيا عليها - أن تكون هذه الرسالة هي آخر الرسالات، بعد أن يمهد لها مجموعة من الرسل بحسب الوقت وظروفه عن طريق:

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

١ - سن الشرائع الأساسية، من التوحيد والعدل ونبذ الظلم والفواحش ما ظهر منها وما بطن، لتكون أساساً معرفياً، يعزز فطرة الإنسان ويؤكد توجهاتها في ذلك.

٢ - التبشير بقدم الرسول الخاتم ﷺ المتكفل بإرساء قواعد الشريعة المتكاملة التي هي أمل السماء وغاية الإيجاد.

هذا كله من الناحية التشريعية والأخلاقية، وأما من الناحية التكوينية، فقد اختار الله سبحانه لنبه الكريم ﷺ خير الأصول، وأطهر الأرحام، لينتقل فيها متدرجاً من صلب شريف إلى رحم طاهر ويكون كل منهما مؤهلاً لاستقبال هذا النور العظيم الذي لم يخلق الله تعالى أشرف ولا أسبق منه، ففي الحديث عن النبي ﷺ: **(أول ما خلق الله نوري)**^(١)، وليس ذلك لشيء إلا لكي تجري الأمور في هذه الحياة على سننها التي شاء الله أن تؤسس عليها الدنيا.

وبعد هذا فليس غريباً أن يكون النبي ﷺ في سيرته - حتى قبل البعثة - مثالاً للأخلاق العالية فصار يلقب

(١) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٢٤ ح ٤٤.

بالصادق الأمين، بل لو رجعنا قليلاً لنسلط الضوء على آباء النبي ﷺ لوجدنا كلاً منهم سيداً قومه وشريف عشيرته وصاحب الأخلاق ورافع راية القيم ومؤسس التشريعات فيها، بل كان يتميز بأمر مهم وهو أن فيه نور النبوة، حتى وصف أغلبهم بالقمر أو قريب منه، لذا كانوا أصحاب رسالة إلهية يستشعرونها في أعماق نفوسهم ويورثونها لمن بعدهم، وهي إيصال هذا النور بمنتهى الأمانة، وإيداعه في أرحام خير النساء فلا يقبلون التزويج بأي امرأة ما لم يسألوا عنها وتكون خير نساء قومها.

فهذه المقدمة أردنا منها بيان أمر مهم وهو أن رسالة الإسلام التي جاء بها خير الأنام ﷺ هي مشروع السماء لهذه الحياة، ولكن أريد لهذا المشروع أن يوجد في وقته المناسب وعلى أيدي خير خلق الله كلهم، والذي هو ﷺ بدوره أعد له لكي يكون مؤهلاً لأن يحمل هذه الأعباء الجسام في سبيل تحقيق هذه الرسالة، فكان النبي محمد ﷺ، وكانت رسالة الإسلام الخالدة بكل ما تعنيه

هاتين الكلمتين من معاني الأخلاق والقيم والفضائل
والكلمات الإلهية.

وهنا يجدر بنا في هذه المناسبة الكريمة أن نتوقف قليلاً
لنرتشف - على قدر الوسع والطاقة - من هذا البحر
المتلاطم المواج شذرات من حياته الشريفة التي زخرت
بالمآثر والمكرمات، فقد روي أن يهودياً من فصحاء
اليهود طلب من بعض صحابة النبي ﷺ، فقال:
أخبرني عن أخلاق رسولكم؟ فذله على علي عليه السلام،
فلما سأل علياً عليه السلام، عنه، قال عليه السلام: (صف لي متاع
الدنيا حتى أصف لك أخلاقه، فقال الرجل هذا لا يتيسر
لي، فقال علي عليه السلام: عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد
شهد الله على قلته حيث قال: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾^(١)،
فكيف أصف أخلاق النبي ﷺ وقد شهد الله تعالى بأنه
عظيم حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) (٣).

(١) سورة النساء: آية ٧٧.

(٢) سورة القلم: آية ٤.

(٣) تفسير الرازي: ج ٣٢، ص ٢١.

نسبه الشريف :

هو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وآله، بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا)^(١).

قال العلامة المجلسي قدس سره: (إعلم أن إجماع علماء الإمامية معقود على أن أبا رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه وجميع أجداده وجدّاته حتى آدم عليه السلام كانوا كلهم مسلمين، وأن نوره صلى الله عليه وآله لم يستقرّ في صلب ورحم مشركين، وليست هناك شبهة في نسبه صلى الله عليه وآله ونسب آباءه وأمّهاته، وللأحاديث المتواترة عن الخاصة والعامة دلالتها على هذه المضامين)^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ١٣٤.

(٢) منتهى الآمال: ج ١، ص ٩.

فالنبي ﷺ طاهر من دنس الآباء وعهر الأمهات، إذ لم يكن في أجداده وجدّاته، سفاح وزنا وهو ما اتفق عليه المسلمون، وصرّح به الرسول ﷺ في أحاديث رواها السنة والشيعّة، فقد جاء عنه ﷺ أنّه قال: **نُقِلْتُ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة نكاحاً لا سفاحاً**(^١).

وقال الإمام عليّ عليه السلام: (وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وسيد عباده كلّما نسخ الله الخلق فرقتين، جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهرٌ ولا ضربَ فيه فاجر)(^٢)، كما ذكر الإمام الصادق عليه السلام ذلك مفسراً الآية **﴿وتقلّبك في الساجدين﴾**، أي: (في أصلاب النبيّين، نبي بعد نبي، حتى أخرجّه من صلبِ أبيه عن نكاحٍ غير سفاح من لدن آدم)(^٣).

ويضيف العلامة المجلسي: (بل يتضح من الأحاديث

(١) كنز الفوائد: ج ١، ص ١٦٤.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): الخطبة ٢١٥.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٧، ص ٣٥٨.

المتواترة أن أجداده عليه السلام كانوا كلهم أنبياء وأوصياء
وحملة لشريعة الله، وأنّ أبناء إسماعيل عليه السلام - وهم
أجداده عليه السلام - كانوا أوصياء لإبراهيم عليه السلام، وسادة
لمكة وسدنة لبيت الكعبة، وكان ترميمها وإعمارها
موكولاً إليهم، كما كانوا مرجعاً للخلق عامة، وفيهم
كانت ملة إبراهيم عليه السلام، وكانوا حفظةً لتلك الشريعة،
يوصي بها بعضهم بعضاً، كما يودع أحدهم الآخر آثار
الأنبياء حتى وصلت إلى عبد المطلب، الذي جعل أبا
طالب وصياً له، وقام أبو طالب بتسليم آثار الأنبياء
وودائعهم عليهم السلام إلى حافظ الرسالة عليه السلام (١).

نعم إنه عليه السلام سليل أشرف عائلة في العرب، وورث
أجداداً ملكة من العزّ والجاه والقوة والشأن مالم
يكن يدنو له الآخرون.

(١) منتهى الآمال: ج ١، ص ٩.

ولادته ﷺ :

ولد النبي ﷺ في عام الفيل (٥٧٠م) باتفاق كتاب السيرة، ورحل عن الدنيا في (٦٣٢م) عن ٦٢ أو ٦٣ عاماً، كما اتفقوا على أنه ولد في شهر ربيع الأول، ولكن اختلفوا في يوم الولادة، فقال الشيعة: إنه يوم الجمعة السابع عشر منه، أما السنة، فقد عيّنوا يوم الاثنين الثاني عشر من الشهر نفسه^(١).

وقد وقعت يوم ولادته أحداث عجيبة، كما يروي لنا ذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

(كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع يسترق السمع، فلما ولد عيسى حُجب عن ثلاث سماوات، كان يخترق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله حجب عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أمية - وكان من أزجر أهل الجاهلية -

(١) السيرة المحمدية (جعفر السبحاني): ص ٣٣.

انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث، وأصبحت الأصنام كلها صبيحة ولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتج في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وفاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤبذان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك محزوناً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها،

وعظمت قريش في العرب وسموا آل الله^(١).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (لما ولد ﷺ انكبت الأصنام في الكعبة على وجوهها، ولما حلّ الليل سمع هذا النداء من السماء: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢) وأشرقت الدنيا كلها في هذه الليلة وضحك الحجر والمدر، وسبح لله ما في السماوات والأرضين، وبكى إبليس وقال: خير الأمة وأفضل الخلائق وأكرم العباد وأعظم العالمين محمد ﷺ).

ويروي الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قوله: (... ومحمد ﷺ سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض ورافعاً يده اليمنى إلى السماء، ويجرك شفّتيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور، ورأى أهل مكة منه قصور بصرى والشام وما يليها، والقصور

(١) الأنوار البهية (الشيخ القمي): ص ٣٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨١.

الحمرة من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي ﷺ حتى فزعت الجن والإنس والشياطين، وقالوا: حدث في الأرض حدث، ولقد رأيت الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل، وتسبح وتقدس، وتضطرب النجوم وتتساقط، علامات لميلاده.

ولقد همَّ إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حُجبوا عن السماوات كلها، ورموا بالشهب دلالة [جلالة] لنبوته ﷺ (١) انتهى.

(١) الاحتجاج (الشيخ الطبرسي): ج ١، ص ٣٣١.

أوصافه وشمائله ﷺ :

عن الحسن بن علي عليه السلام قال: (سألت هند بن أبي هالة التميمي - وكان وصافاً للنبي ﷺ - : أنا أشتهي أن تصف لي منه شيئاً لعلّي أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رَجَل الشعر، إن انفرت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب^(١)، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العينين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دموية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا، متماسكا، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد،

(١) زج حاجبه: أي رق في طول فهو أزج.

موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر: طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب خمسان الأخصيين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفؤا ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنها ينحط في صلب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام. قال: فقلت: فصف لي منطقه، فقال: كان عليه السلام

متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، طويل السكت [السكوت]، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمنا [لينا] ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئا، غير أنه كان لا يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا تغضبه

الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم
يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له.

إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا
تحدث اتصل بها، فضرب براحتة اليمنى باطن إبهامه
اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض
طرفه، جُلُّ ضحكته التبسّم، يفتر (افتر الرجل: ضحك
ضحكا حسنا) عن مثل حب الغمام.

قال الحسن عيسى: وكتمتها الحسين عيسى، زماناً
ثم حدثته به فوجدته قد سبقني إليه فسألته
عما سأله عنه فوجدته قد سأل أباه عن مدخل
النبي ﷺ ومخرجه ومجلسه وشكله، فلم يدع
منه شيئاً، قال الحسين عيسى: سألت أبي عيسى
عن مدخل رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه
مأذوناً له في ذلك، فإذا أوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة
أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزء
جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة

ولا يدخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم في ما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليلبغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقيد [يقبل] من أحد عشرة، يدخلون رواداً، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة^(١).

قال: فسألته عن مخرج رسول الله ﷺ كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه،

(١) جمع دال، من دل الرجل: إذا افتخر.

ويسأل الناس عما في الناس، ويُحسِّن الحسَن ويقويه،
ويُقَبِّح القبيح ويهونه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا
يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا [يميلوا]، ولا يقصر
عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم،
أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين وأعظمهم
عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

فسأله عن مجلسه فقال: كان ﷺ لا يجلس ولا يقوم
إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها،
وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر
بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب من
جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو
بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم
أباً وصاروا عنده في الخلق [الحق] سواء، مجلسه مجلس
حلم وحياء وصدق وأمانة ولا ترتفع فيه الأصوات،

ولا تؤبّن فيه الحرم^(١)، ولا تنشئ فلتاته^(٢)، متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كان سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر^(٣)، سهل الخلق، لينّ الجانب، ليس بفظّ، ولا غليظ، ولا صحّاب^(٤)، ولا فحّاش، ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخبّ فيه مؤمّليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته. ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم

(١) أي: لا يعاب الناس في مجلسه ولا تنتهك الحرمات فيه.

(٢) أي: لا يحدث بما وقع في مجلسه من الهفوات والزلات ولا تذاغ بين الناس.

(٣) البشر - بالكسر -: بشاشة الوجه.

(٤) الصحّاب: الشديد الصياح.

عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسأله ومنطقه حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه^(١)، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسأله عن سكوت رسول الله ﷺ. قال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر [التفكير]. فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتمدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمة، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة^(٢).

(١) رفته: أعطاه.

(٢) معاني الأخبار (الشيخ الصدوق): ص ٧٩-٨٣.

آدابه صلى الله عليه وآله :

أما آدابه فقد جمعها بعض العلماء من الأخبار:

كان النبي صلى الله عليه وآله أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم، لم تمس يده يد امرأة لا تحل، وأسخى الناس لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يجلس على الأرض وينام عليها ويأكل عليها، وكان يخلصف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير ويحمله، ويطحن مع الخادم إذا أعى، ويضع طهوره بالليل بيده ولا يتقدمه مطرق، ولا يجلس متكئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم، وإذا جلس على الطعام جلس محقراً،

وكان يقطع أصابعه، ولم يتجشأ قط، ويجيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويأكلها ولا يأكل الصدقة، ولا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، لا يلبس ثوبين، يلبس برداً حبرة يمنية وشملة جبة صوف، والغليظ من القطن والكتان، وأكثر ثيابه البياض ويلبس العمامة تحت العمامة، يلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب للجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً، وكان له عباء يفرش له حيث ما ينقل ثنى ثنيتين، يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن، يحب البطيخ، ويكره الريح الردية، ويستاك عند الوضوء، ويردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار، ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا

قلنسوة، ويشيع الجنائز ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء ويواكل المساكين ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن ولم تجر عظة، وربما ضحك من غير قهقهة، لا يرتفع على عبيده وإمائه في مآكل ولا في ملابس، ما شتم أحداً بشتمه ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة ولا لاموا أحداً إلا قال دعوه، ولا يأتيه أحد حراً وعبداً وأمة إلا قام معه في حاجته، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويصفح، ويبدأ من لقيه بالسلام، ومن رآه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحدٌ يده فيرسل يده حتى يرسلها، وإذا لقي مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد

وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه وقال: ألك حاجة؟ وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً، وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته، وكان في الرضا والغضب لا يقول إلا حقاً، وكان يأكل القثاء بالرطب وبالمالح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب وأكثر طعامه الماء والتمر وكان يتمجع^(١) اللبن بالتمر ويسميها الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويأكل الثريد باللحم، وكان يحب القرع، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ومن البقول الهندبا والبادروج^(٢) والبقلة اللينة^(٣).

(١) المجمع: تمر يعجن بلبن، وتمجع: أكل التمر اليابس باللبن معاً وأكل التمر وشرب عليه اللبن.

(٢) بادروج: نبات يؤكل، وهو نوع من الریحان الجبلي.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٢٦-١٣٠.

أخلاقه صلى الله عليه وآله في آيات الذكر الحكيم:

إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حالة فريدة في الإنسانية، حيث لم يشهد التاريخ شخصية كشخصيته، امتلكت الأخلاق الفاضلة والنفس الكريمة، والروحانية الإنسانية الرفيعة، فلقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الذروة في الأخلاق، حتى استحق أن يخاطبه الباري عزَّ وجلَّ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) كما استطاع أن يكون إنموذجاً حقيقياً، ومثالاً حياً، وأسوةً حسنةً للآخرين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)، وهذا ليس بالكثير على من أعدته السماء لحمل لواء الرسالة الخاتمة، التي قُدِّر لها أن تبقى ما بقي الدهر، فهو تربية السماء وريب عالم الغيب الذي يقول صلى الله عليه وآله عن نفسه الشريفة: (أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي)^(٣).

(١) سورة القلم: آية ٤.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢١.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

إنَّ شخصية الرسول الأكرم ﷺ الفدَّة تعتبر أفضل وأعظم شخصية في الإسلام، ولهذا أصبحت هذه الشخصية المحور الأساس الذي تتمحور حولها عواطف وعقائد المسلمين كافة، بحيث أصبح التخلُّق بأخلاقها يوجب التسامي والرفعة والتكامل المعنوي والنفسي، ولقد كان حقاً ما قاله الرسول ﷺ: (إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١).

لقد سخر الرسول ﷺ شففته ورأفته ورحمته، بكل عزيمة وثبات، من أجل ترويض أصحاب القلوب المتحجَّرة ممن تسلَّطت على قلوبهم الجاهلية الجهلاء، وغطت عليها طبيعة الصحراء القاسية، إلى الدرجة التي أخذوا فيها يقتلون فلذات قلوبهم من البنات خشية العار والشنار، كما تحدَّث عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا

(١) مجمع البيان (الشيخ الطبرسي): ج ١٠، ص ٨٦.

..... أخلاق ﷺ فليح آيات الذكر الكبير

بُشِّرَ بِهِ أَيَّمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ

مَا يَحْكُمُونَ ﴿١﴾، فقد كانت حياتهم مليئة بالخرافات

والسخافات واختلاف الديانات والاتجاهات الباطلة

والمنكرة، فشمّر الرسول ﷺ عن ساعديه وسعى

بجد واجتهاد، من أجل إنقاذ البشرية التي كانت قابعة

في دهاليز الظلمة، ليخرجها من الظلمات إلى النور،

من خلال تزكية النفوس وتهذيب العقائد الباطلة

والأخلاق الفاسدة، وتكميل العقول الناقصة، وتقوية

النفوس الضعيفة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا

مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾.

إنَّ التعرّف على شمائل الرسول ﷺ وصفاته،

والتمعّن في أخلاقه وسلوكياته، يمكن له أن يرسم

لنا صورة عن ملامح هذه الشخصية الفريدة، ويمكننا

(١) سورة النحل: الآيات ٥٨ - ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

من خلال ذلك أيضاً الاتصاف بصفاته والتأسي به، مما يؤدي إلى تحلي المجتمع الإسلامي بمكارم الأخلاق التي اجتمعت في شخصيته الكريمة، فيبلغ المجتمع بذلك مرحلة الكمال والنضج، وتصل الحياة الإنسانية إلى مدارج الازدهار والرقى.

وهذا ما دعا إلى البحث في بعض الجوانب الأخلاقية التي أشار إليها القرآن الكريم عن هذه الشخصية العظيمة.

الخلق العظيم:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

لقد كان النبي ﷺ يمتاز بسمو خلق لا يحيط بوصفه البيان، اجتمعت به كل الصفات الجميلة ففاضت القلوب إجلالاً له، وتفانى المنصفون في تعظيمه وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فقد كان أحسن الناس خلقاً، بحيث يستطيع الإنسان أن يستشعر ذلك من خلال تعامله مع الصغير والكبير

(١) سورة القلم: آية ٤.

ومع المؤمنين وغيرهم.

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام إذا وصف النبي صلى الله عليه وآله قال: (... إذا كان في الناس غمرهم، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أطيب من ريح المسك، ليس بالعاجز ولا باللييم، أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وأجودهم كفاً، من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رآه بديهة هابه، عزّه بين عينية، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله) ^(١).

لقد جمع الله سبحانه وتعالى لنبيه جميع صفات الجمال والكمال، وتألقت روحه الطاهرة بعظيم الشئائل والخصال، وكريم الصفات والأفعال، حتى أبهرت سيرته القريب والبعيد، وتملكت هيئته العدو والصديق، قال الشاعر حسان بن ثابت واصفاً الكمال الذي يتصف به الرسول صلى الله عليه وآله:

وأجمل منك لم تر قط عيني

وأكمل منك لم تلد النساء

خُلقت مبراً من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء

(١) الأمامي (الشيخ الطوسي): ص ٣٤١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) يحمل في طياته شهادة وتزكية وتكريماً لخلق الرسول ﷺ، ويُعرب عن سيرته وسمته وشمائله وصفاته الكاملة، ويتضمن منهجاً أخلاقياً متكاملًا، إذ كان مثلاً حياً للقرآن في تعاليمه وآدابه والخلق الذي أمر به، فكان ﷺ هو القرآن وجهان لعملة واحدة، كما ورد عندما سئلت إحدى زوجاته عن خلقه قالت: (كان خلقه القرآن)^(٢).

قال الطبرسي: (إنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ، أي: على دين عظيم، وقيل: معناه إنَّكَ متخلِّق بأخلاق الإسلام، وعلى طبع كريم، وقيل: سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، ويعضده ما روي عنه: إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٣).

وقال ابن الجنيد: (سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيمًا إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُ

(١) سورة القلم: آية ٤.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ج ٦، ص ٣٤٠.

(٣) تفسير مجمع البيان (الشيخ الطبرسي): ج ١٠، ص ٨٦.

هَمَّةٌ سَوَى اللَّهِ تَعَالَى، عَاشَرَ الْخَلْقِ بِخُلُقِهِ، وَزَايَلَهُمْ بِقَلْبِهِ فَكَانَ ظَاهِرَهُ مَعَ الْخَلْقِ وَبَاطِنَهُ مَعَ الْحَقِّ^(١).

إِذَا فَهَذِهِ الْآيَةُ وَحَدَّاهَا تَوَصَّلَ الْمَنْهَجُ الْأَخْلَاقِي فِي الْقُرْآنِ، فَكُلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَهُوَ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ.

مكارم الأخلاق:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)

الحلم والسماحة والتساهل والصفح عن الآخرين من الأخلاق التي أتصف بها الرسول الأكرم ﷺ، وفي هذه الآية المباركة جُمع للنبي ﷺ جميع مكارم الأخلاق، على وفق ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا وَإِنْ مَكَارِمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)^(٣).

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

(١) تفسير الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد): ج ٥، ص ٤٦٤.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٣) الأمالي (الشيخ الطوسي): ص ٦٤٤.

نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ^(١).

وهذا عين ما أوصى به الرسول ﷺ أمير المؤمنين علياً عليه السلام حيث قال: (يا علي: ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم عمن جهل عليك)^(٢).

كيف لا والرسول ﷺ يقول: (إنَّ الله خلق عبداً من خلقه لحوائج النَّاسِ، يرغبون في المعروف ويعدون الجود مجداً، والله يحب مكارم الأخلاق)^(٣).

وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: (لو كنَّا لا نرجو جنَّة ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنَّها مما تدل على سبيل النجاح، فقال رجل: فذاك أبي وأمِّي يا أمير المؤمنين، سمعته من رسول الله، قال: نعم وما هو خير منه: لما أتانا سبايا طي، فإذا فيها جارية حماء،

(١) شرح إحقاق الحق (السيد المرعشي): ج ٣٣، ص ٨١٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه (الشيخ الصدوق): ج ٤، ص ٣٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٥٦.

حواء، لعساء، لمياء، عيطاء، صلت الجبين، لطيفة العرنين، مسنونة الخدين، ملساء الكعبين، خدلجة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ممكورة الكشحين، مصقولة المتنين، فأعجبني وقلت: لأطلبنَّ إلى رسول الله، يجعلها في فيئي، فلمَّا تكلمت نسيت ما راعني من جمالها، لما رأيت من فصاحتها وعذوبة كلامها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فأني ابنة سيد قومي، كان أبي يفكُّ العاني، ويحمي الذمار، ويُقري الضيف، ويُشبع الجائع، ويكسي المعدوم، ويُفرِّج عن المكروب، أنا ابنة حاتم طي، فقال: **خلُّوا عنها فإنَّ أباهَا كان يُحِبُّ مكارم الأخلاق**، فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله، الله يُحِبُّ مكارم الأخلاق، فقال: **يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلا بِحَسَنِ الخُلُقِ**(١).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله تعالى يُحِبُّ مكارم الأخلاق ويُبغضُ سفاسفها)**(٢).

(١) مستدرک الوسائل (الميرزا النوري): ج ١١، ص ١٩٤.

(٢) مكارم الأخلاق (ابن أبي الدنيا): ص ٢٠.

حلمه ﷺ :

أما الحلم فهو إغضاء الرجل، حيث يزيدُه الإغضاء رفعةً ومهابةً، وهو من السجايا والأخلاق الحميدة، لأنَّه خُلِقَ الأنبياء، وأدب النبلاء، ودأب الفضلاء، وهو من الصفات الفطرية التي تُوَلَّد مع الإنسان، وهو كذلك يتأتَّى بالتَّحَلُّم، والتخلُّق، ومجالسة الحُلَماء، كما قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) (١).

ومن حلم الرسول ﷺ: (أَنَّهُ كَلَّمَ آذَاهُ قَوْمَهُ الْكُفَّارَ، وَبَالِغُوا فِيمَا يَفْعَلُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٢)، وكان رسول الله ﷺ بالإضافة إلى ما يتحلَّى به من الحلم، يقوم بمدح مَنْ يتصف بهذه الصفة ويشجِّعه على ذلك، كما مدح أشبح عبد القيس بقوله: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ) (٣).

(١) مجمع الزوائد (الهيثمي): ج ١، ص ١٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ١٦٧.

(٣) صحيح مسلم: ج ١، ص ٣٦.

علماً أنّ هذا العفو والصفح ليس من التكليف
الواجب على المظلوم، بل مطلوب من جهة الإحسان
والتفضل، كما في قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَآظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى:
﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى
اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

إنَّ الثَّمَرَاتِ النَّاتِجَةَ عَنِ الْحَلْمِ ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ، فَهُوَ
يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ أَرْفَعَ الْمَنَازِلِ وَأَسْمَاهَا، فَقَدْ رَوَى عَنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ حَلِمَ سَادَ، وَمَنْ تَفَهَّمَ
ازداد) ^(٣)، والحلم هو أساس الرفق، كما قال عليه السلام: (إِنَّ
الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه، ولم يرفع عنه قط
إلا شانه) ^(٤)، وهو الباعث على العفو وتخفيف حدّة
الغضب.

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٤.

(٢) سورة الشورى: آية ٤٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه (الشيخ الصدوق): ج ٤، ص ٣٩١.

(٤) الكافي (الشيخ الكليني): ج ٢، ص ٦٤٨.

عفوه ﷺ :

أما العفو عند رسول الله ﷺ، فهو من الوضوح بحيث لا يخفى على من له أدنى معرفة بسيرته، فقد عفى عن أشد المعاندين له وهو أبو سفيان وأمثاله، حينما فتح مكة، فقال لهم: (ألا ببس جيران النبي كنتم، لقد كذبتهم وطردهم وأخرجتم وفللتهم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني.. فاذهبوا فأنتم الطلقاء)^(١).

فهذه كلمات سجّلها التاريخ لأكرم الخلق، فهو يقول لأولئك الذين آذوه وضربوه وطردهوه: إذهبوا فأنتم الطلقاء، ليعطينا درساً عملياً في كيفية السيطرة على غضب النفس، والعفو عند المقدرة، والعاقبة الحسنة لهذا العفو، وقال أيضاً: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)^(٢).

فما أجمل الحلم والعفو الذي يتبلور حينما يأتي أحدهم

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٣٢.

(٢) منية المريد: ص ١٩٣.

فيقوم بسبِّ الآخر، ثم يقابله ذلك الآخر ببشاشةٍ ووجهٍ
وحلمٍ، وهدوءٍ نفسٍ، فلو فعل ذلك سوف يرجع ذلك
المخطئ بإحدى اثنتين: إما إلى رشده فيعترف بخطئه
فيعتذر، وإما يموت كمدأً، كما قال الشاعر.

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبُهُ

فخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

فَإِنْ أَجَبْتَهُ فَرَجَّتْ عَنْهُ

وَإِنْ تَرَكْتَهُ كَمَدًّا يَمُوتُ

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ

الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)،

(العفو: ضد الجهد، كأنه هو المشقة، فالعفو هو

السُّهولة، أي: خذ يا محمد ما عفا لك من أفعال الناس

وأخلاقهم، وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة)^(٢).

وهذا دليل على أن العامل الرئيس في الأخلاق هو

السجية والطبع، دون اللجوء إلى التكلف والمشقة،

(١) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٢) زبدة البيان (المحقق الأردبيلي): ص ٤٣٩.

شذرات من حياة الرسول الأعظم ﷺ

وهذا لا يمنع من وجوب حث النفس ومطالبتها بالتعوُّد على المكارم، لأنَّ هذا يعد كذلك من العوامل التي تغرس جذور الأخلاق في النفس الإنسانية. كما تقدم من قول الرسول ﷺ: **(إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَعْلَمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَحْلُمِ)** (١).

وقال ﷺ: **(من يتصبر يصبره الله، ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله)** (٢).

صدقه وأمانته ﷺ :

قال تعالى: **﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾** (٣).

وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾** (٤).

لقد كانت قريش تعرف الرسول ﷺ قبل أن ينزل

(١) مجمع الزوائد (الهيثمي): ج ١، ص ١٢٨.

(٢) ميزان الحكمة (محمد الريشهري): ج ٢، ص ١٥٦٤.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٢٢.

(٤) سورة النساء: آية ٥٨.

عليه الوحي بالصدق الأمين، حيث كان الصدق والأمانة من الصفات البارزة له في الجاهلية، وهو ما عرف به أيضاً بعد نزول الرسالة وظهور الإسلام، هذا على مستوى الفعل، وهو أيضاً ما عرف منه على مستوى القول فقد كان ﷺ يقول: (عليكم بالصدق، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) (١)، فهو ﷺ يحكي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَالصَّادِقَاتِ﴾ (٣).

وفي مورد نزول قوله تعالى: ﴿وَحَتَمَ عَلَيَّ سَمْعِيهِ وَقَلْبِي﴾ (٤) ما يدل على ذلك أيضاً، فقد قال مقاتل: (نزلت في أبي جهل، وذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد ابن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي، فقال أبو جهل: والله إنِّي لأعلم أنه لصادق! فقال له مه! وما

(١) ميزان الحكمة (محمد الريشهري): ج ٢، ص ١٥٧٨.

(٢) سورة التوبة: آية ١١٩.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٥.

(٤) سورة الجاثية: آية ٢٣.

دَلَّكَ عَلَى ذَلِكَ؟! قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، كُنَّا نَسْمِيهِ فِي صَبَاهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، فَلَمَّا تَمَّ عَقْلُهُ وَكَمَلَ رَشْدُهُ، نَسْمِيهِ الْكَذَّابَ الْخَائِنَ!! وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لِصَادِقٍ! قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَصَدِّقَهُ وَتُؤْمِنَ بِهِ؟ قَالَ: تَتَحَدَّثُ عَنِّي بَنَاتُ قَرِيشٍ أَنِّي قَدْ اتَّبَعْتُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ مِنْ أَجْلِ كَسْرَةِ، وَاللَّاتِ وَالْعَزَّى إِنْ اتَّبَعْتَهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾^(١).

أما سيد البطحاء أبو طالب عليه السلام، فهو يذكر بعض شمائل الرسول ﷺ ويصفه بالصادق الأمين، فعن عروة الثقفي قال: سمعت أبا طالب عليه السلام يقول: حدثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً: إِنَّ رَبَّهُ أَرْسَلَهُ بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ^(٢)، وعن فاطمة الزهراء عليها السلام: أَنَّهَُا قَالَتْ: (أَنَا ابْنَةُ الصَّادِقِ الْأَمِينِ)^(٣)، وفي الزيارة عن الأئمة الهداة عليهم السلام: (السَّلامُ عَلَى كَافَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ،

(١) تفسير القرطبي: ج ١٦، ص ١٧٠.

(٢) الغدير (للشيخ الأميني): ج ٧، ص ٣٦٨.

(٣) مستدرک سفینه البحار: ج ٨، ص ١٤٧.

السلام على حجج الله على العالمين، السلام على محمد بن عبد الله خاتم النبيين، السلام على الرسول الصادق الأمين^(١).

لقد أظهر نبينا الكريم ﷺ من الصدق والأمانة في العبودية لله والتعامل مع عباده، ما لا يظهره سواه من العباد حتى لُقّب بالصادق الأمين، هكذا هي سيرته منذ ولادته، وبعد أن بزغ نور الحق، ولما علمت قريش بما ينوي محمد ﷺ أن يفعله من نشر لدينه الجديد عملت على عداوته أشدّ عداوة، إلا أن ذلك لم يشتمهم على أن يجعلوا أمواهم وأحمالهم أمانةً عنده، ولا غرابة في ذلك فلا يوجد من هو أمينٌ مثل محمد ﷺ.

ولقد أشار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلى صدق الرسول ﷺ وأمانته، وأثر ذلك على الدعوة الإسلامية بقوله: (بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته وعفافه، حتى لقد لُقّب بالصادق الأمين) فقد كان لذلك أثر كبير في ظهور دعوته، وانتصار وانتشار

(١) بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٩٩.

رسالته، وقد كان تحلّيه بهذه المواصفات ضرورياً، لأنَّ فقدانها موجب لريبهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا لَأَزْتَابَ **الْمُبْطُلُونَ**﴾^(١)، هذا كلّهُ، بالإضافة إلى ما قد مدحه الله عليه من خلقه العظيم، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ **عَظِيمٍ**﴾^(٢).

إنَّ أبرز الشواهد على أمانة الرسول ﷺ، نهوضه بتبليغ الرسالة التي ائتمنه الله عليها وكلفه أن يقوم بها، حيث بلَّغها للنَّاس أعظم ما يكون التبليغ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام، واحتمل في سبيلها أشقَّ ما يحتمله بشر.

لقد كانت قريش بالرغم من معاداتها للرسول ﷺ، تحتفظ بأماناتها عنده، لأنَّها كانت تثق فيه ولم تعهد عليه أيّ شائبة، وهذا ما يمكن أن ندركه من خلال هذه الحادثة: (فلقد توجه الرسول ﷺ يوماً إلى نحو الكعبة وأهل مكة حولها، وكان قد عمروا فيها عمارة، وشالوا الحجر الأسود من مكانه، فلمَّا عزموا أن يردّوه إلى

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٨.

(٢) الصحيح من سيرة النبي (جعفر العاملي): ج ٢، ص ٢١٢.

مكانه الأول اختلفوا فيمن يردّه، فكان كل منهم يقول: أنا أردّه، يريد الفخر لنفسه، فقال لهم ابن المغيرة: يا قوم حَكِّمُوا في أمركم من يدخل من هذا الباب، وأجمعوا على ذلك، وإذا بالنبي قد أقبل عليهم، فقالوا: هذا محمد، نعم الصادق الأمين، ذو الشرف الأصيل، ثم نادوه فأقبل عليهم، فقالوا: قد حَكَّمناك في أمرنا، مَنْ يحمل الحجر الأسود إلى محله؟ فقال: هذه فتنة، إيتوني بثوب، فأتوه به، فقال: ضعوا الحجر فوقه، وارفعوه من كل طرف قبيلة، فرفعوه إلى مكانه، والنبي هو الذي وضعه في مكانه، فتعجبت القبائل من فعله^(١).

وتجلى أمانة الرسول ﷺ أيضاً عندما أراد الخروج من مكة، فقد روي (أنّه لما أراد الهجرة كانت عنده ودائع أودعها أم أيمن وأمر أمير المؤمنين علياً عليه السلام بردّها على مستحقها)^(٢)، كيف لا يكون الرسول ﷺ كذلك، وهو الصادق الأمين الذي يصدق بقوله: (أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) المهذب (القاضي ابن البراج): ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) نفس المصدر.

عدالته واستقامته ﷺ :

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١).

العدالة: (وهي لغة: الاستقامة، وشرعاً: كيفية راسخة في النفس، تبعث على ملازمة التقوى والمروءة، وتحقق التقوى: بمجانبة الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر)^(٢)، والعدالة بخلاف الظلم، الذي هو: (وضع الشيء في غير موضعه، كذا في مجمع البيان، أو التعدي عن حدود الله، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٣)، إذ لا شك أن فعل الصغير خروج عن الاستقامة والطاعة، وأنه نقص ووضع في غير المحل، وتعد عن الحدود، إذ حدود الله هي الأوامر والنواهي)^(٤).

لقد جاءت الدعوة إلى الاستقامة في مواطن عديدة

(١) سورة هود: آية ١١٢.

(٢) جامع المقاصد (المحقق الكركي): ج ٢، ص ٣٧٢.

(٣) سورة الطلاق: آية ١.

(٤) زبدة البيان (المحقق الاردبيلي): ص ٤٨.

من القرآن الكريم، منها ما هو مباشر للنبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(١)، ومنها غير المباشر، كالذي يخاطب به الله تبارك وتعالى المؤمنين ويعددهم بالأمن والطمأنينة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وكذلك أمر القرآن الكريم بالعدل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقد حضَّ النبي ﷺ على العدل والمساواة في أحاديث كثيرة، بعد ضرب المثل والقدوة للناس عملياً فقد قال ﷺ: (ما من عبد استرعاه الله رعيةً فمات وهو

(١) سورة هود: آية ١١٢.

(٢) سورة الأحقاف: آية ١٣.

(٣) سورة المائدة: آية ٨.

غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة^(١).

وكان الرسول ﷺ يعدل ويتحرى العدل بين زوجاته ثم يعتذر إلى ربه وهو مشفق خائف فيقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين علي^{عليه السلام}: قال: (قلت: يا رسول الله أوصني، قال: قل ربّي الله ثم استقم، قال: قلت: ربّي الله وما توفّيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)^(٣)، وأخرج ابن ماجه في السنن: أن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، حدّثني بأمر أعتصم به؟ قال: قل ربّي الله ثم استقم^(٤).

وهذه الاستقامة لا تتحقق إلا بتقوى الله وخشيته، والتعرّف على أحكامه والإحاطة بتعاليمه، والامثال لأوامره، والتخلّق بأخلاق القرآن، وهو ما اتصف به

(١) كنز العمال (المقني الهندي): ج ٦، ص ٣٥.

(٢) عوالي اللئالي: ج ٢، ص ١٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ١٧٥.

(٤) ميزان الحكمة: ج ١، ص ٧٥٨.

الرسول الأكرم ﷺ، فقد كان من عدله واستقامته، بحيث لم يهمل جانباً من دعوته على حساب جانب، ولم تمل به الأهواء ذات اليمين وذات الشمال، بالرغم من الصعوبات التي واجهته والعروض المغرية التي عُرِضت عليه، فلقد تحمّل من أجل ذلك مختلف المتاعب والآلام كما قال: **(ما أودى نبي مثل ما أوديت به)**^(٥)، ولقد بلغ من همّته العظيمة لتحقيق هدفه السامي أنّه قال: **(لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته)**^(٦).

إنّ استقامة الرسول ﷺ وسيرته تشهد على أنّه ينطق عن الوحي، ومؤيد بالغيب، ومؤهل لحمل الرسالة الخالدة، هذه الاستقامة التي يبشر الله بها عباده بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾**^(٧).

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٥٦.

(٦) الغدير: ج ٧، ص ٣٥٩.

(٧) سورة فصلت: آية ٣٠.

رحمته ﷺ :

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

من الصفات التي يتحلَّى بها الرسول ﷺ صفة الرحمة، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرقُّ للضعيف، ويحنُّ على المسكين، ويعطف على الخلق أجمعين، حتى صارت الرحمة سجيَّةً له، فاستحق بذلك الثناء من قبل الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وفي وصفه ووصف أصحابه يقول الباري تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

لقد شملت رحمة رسول الله ﷺ الصغير والكبير،

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(٢) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٤) سورة التوبة: آية ١٢٨.

والقريب والبعيد، والمؤمن والكافر، والخدم والأرقاء، والطير والدواب، فمن شواهد رحمته بالصغار روي: (أنَّ رسول الله كان يقبِّل الحسن والحسين عليهما، فقال الأقرع بن حابس: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ أحداً منهم، فنظر إليه رسول الله، ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم)^(١).

ومن شواهد رحمته بالخدم، روى أبو ذر رضي الله عنه أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله قال: (هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)^(٢).

وعن أنس قال: (خدمت رسول الله عشر سنين لا والله ما سبني سبّة قط، ولا قال لي أفّ قط، ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٧١، ص ١٤١.

(٣) كنز العمال (المتقي الهندي): ج ٧، ص ٢٠٨.

ومن شواهد رحمته بالنساء، قول رسول الله ﷺ:
 (ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان - أي:
 أسيرات - عندكم، ليس تملكون منهنَّ شيئاً غير
 ذلك)^(١)، وعن أبي قتادة الحارث بن رباعي قال: قال
 رسول الله ﷺ: (إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ
 أَطَوَّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي
 كَرَاهِيَّةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ)^(٢).

ومن شواهد رحمته بالطيور والبهائم، عن عبد الله،
 عن أبيه قال: (كنا مع رسول الله في سفر، فانطلق
 لحاجته، فرأينا حُمرة - طائر يشبه العصفور - معها
 فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت
 تُعرش - أي: ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها -
 فلما جاء، قال: من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها
 إليها)^(٣).

(١) كنز العمال (المتقي الهندي): ج ٥، ص ١١٦.

(٢) صحيح البخاري: ج ١، ص ١٧٣.

(٣) رياض الصالحين: ص ٦٣٥.

وعن سهيل بن الحنظلية قال: (مرّ رسول الله ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة - أي: التي لا تنطق - فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة)^(١).

ومن شواهد رحمته ﷺ بأعدائه موقفه العظيم يوم فتح مكة عندما مكّنه الله تعالى من قريش، فأطلق الرسول ﷺ كلمته الخالدة: (اليوم يوم المرحمة)^(٢)، وكان محقاً فيما قاله فقد أعلن عفو العام عن قريش التي لم تدّخر وسعاً في إلحاق الأذى به وبالمسلمين، وكان ذلك تفضلاً منه ورحمةً.

(١) كنز العمال (المتقي الهندي): ج ٩، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق: ج ١٠، ص ٥١٣.

تواضعه ﷺ :

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

قال شيخنا الطبرسي في تفسيره: (وفي هذه الآية دلالة على تخصيص نبينا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ومن عجيب أمره أنه كان أجمع الناس لدواعي الترفع، ثم كان أدناهم إلى التواضع، وذلك أنه كان أوسط الناس نسباً وأوفرهم حساباً، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم.. وهذه كلها من دواعي الترفع، ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب، ويخصف النعل، ويركب الحمار، ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك، ويجلس في الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يدعو إلى الله من غير زأر ولا كههر^(٢) ولا زجر، ولقد أحسن من مدحه في قوله:

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) زأر زأراً: صاح و غضب، كههر كهراً: استقبله بوجه عابس.

فما حَمَلَتْ من ناقة فوق ظهرها

أَبْرَّ وأوحى ذمَّةً منْ محمد^(١)

والتواضع هو: (الرضى بأن تجلس من المجلس بدون شرفك، وأن تسلّم على مَنْ لقيت، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً)^(٢)، وهو أيضاً: لين الجانب للصغير والكبير، وخفض الجناح للمسيء والمقصر، كما قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وإنَّ التواضع يكسب صاحبه السلامة، ويُورث الألفة، ويرفع الحقّ، وللتواضع ثمار كثيرة منها المحبة، ومنها أنه يزيد شرف الشريف، كما أن التكبر يزيد في ضعته، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبرّ وضعه الله)^(٤)، ولقد أحسن من قال:

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٩٩.

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام (عبد الحلیم الجندي): ص ٣٣٣.

(٣) سورة الحجر: آية ٨٨.

(٤) تحف العقول: ص ٤٦.

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعًا

فكم تحتها قومٌ همٌ منك أرفعُ

فإن كنت في عزٍّ وخيرٍ ومنعَةٍ

فكم مات من قومٍ همٌ منك أمتعٌ^(١)

إن التواضع عند الرسول ﷺ قد استمد من التوجيه

القرآني العظيم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ

خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢).

ومن تواضعه (أنه أمر أصحابه بذبح شاة في سفره،

فقال رجل من القوم عليّ ذبحها، وقال الآخر: عليّ

سلخها، وقال آخر: عليّ قطعها، وقال آخر: عليّ

طبخها، فقال رسول الله ﷺ: عليّ أن ألقط لكم

الخطب، فقالوا: يا رسول الله لا تتعبنَّ بآبائنا وأمهاتنا

أنت، نحن نكفيك، قال: عرفت أنكم تكفوني، ولكن

الله عزَّ وجلَّ يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن

(١) فتح القدير (للشوكاني): ص ٢٢٨.

(٢) سورة لقمان: آية ١٨.

ينفرد من بينهم، فقام يلقط الحطب لهم^(١)
 وقد كان رسول الله ﷺ يقول: (لا تطروني كما أطرت
 النصارى عيسى ابن مريم وقولوا: عبد الله ورسوله)^(٢)،
 ويقول رسول الله ﷺ: (التواضع لا يزيد العبد إلا رفعةً،
 فتواضعوا يرفعكم الله)^(٣).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (قال رسول
 الله ﷺ: خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على
 الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي
 العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان،
 لتكون سنة من بعدي)^(٤).

ولما كان نبينا رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً رفعه الله رفعةً
 لا يدانيه أحد في الرفعة، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ
 ذِكْرَكَ﴾^(٥)، ولهذا كان الرسول ﷺ يحذر من الكبر أيما
 تحذير، فيقول لأبي ذر عليه السلام: (يا أبا ذر من مات وفي

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٧٣.

(٢) تفسير القرطبي: ج ٥، ص ٢٣٧.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٢١.

(٤) الأمالي (الشيخ الصدوق): ص ١٣٠.

(٥) سورة الشرح: آية ٤.

قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة، إلا أن يتوب قبل ذلك^(١)، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

صبره ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٣).

إن من أهم علامات المؤمن الصبر، وهذا ما صرح به الرسول ﷺ حيث قال: (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد)^(٤)، وأكدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام، بقوله: (وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه)^(٥)، إلا أن الصابرين قليل، مع أن الصبر

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٩٠

(٢) سورة القصص: آية ٣٨.

(٣) سورة النحل: آية ١٢٧.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٨٨.

(٥) نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٨.

للمؤمن علامة، وللراضي بقضاء الله وقدره وسام، وهو لمن يتجسّد به بشرى ونور، قال تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١).

وفي الكافي بسنده عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (يا حفص، إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً، ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك، فإن الله عز وجل بعث محمداً فأمره بالصبر والرفق فقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾^(٢) وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣)، فصبر حتى إذا ما نالوه بالعظائم ورموه بها، ضاق صدره، فأنزل

(١) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) سورة المزمل: الآيات ١٠ - ١١.

(٣) سورة فصلت: الآيات ٣٤ - ٣٥.

الله عليه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١) ثم كذَّبوه ورموه فحزن لذلك، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَعَلْمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ آتَاهُم نَصْرُنَا﴾^(٢) فالزم النبي ﷺ نفسه الصبر، فتعدَّوا، فذكر الله تبارك وتعالى، فكذَّبوه، فقال ﷺ: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾^(٣) فصبر في جميع أحواله^(٤).

إنَّ الصبر له عاقبة حسنة، فمتى ما صبر المؤمن وأحتسب، تكون عاقبته عاقبة خير، ولهذا كان رسول الله ﷺ نموذجاً فريداً في الصبر، فقد روي عن عبد الله بن مسعود قال: (كأني أنظر إلى رسول الله يحكي نبياً

(١) سورة الحجر: الآيات ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ٣٣ - ٣٤.

(٣) سورة طه: آية ١٣٠.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٨٨.

من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون^(١).

وقد كان رسول الله ﷺ يقول: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاء سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء ضرّاء صبر فكان خيراً له)^(٢).

شجاعته ﷺ :

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾^(٣).

كان النبي ﷺ يمتلك من الشجاعة والقوة ما لا يمتلكه سواه، فقد كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وانهمز بين يديه الأبطال في أكثر من واقعة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وهذا

(١) ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٣٢٢٨.

(٢) كنز العمال (المتقي الهندي): ج ١، ص ١٤٥.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٧٣.

ما يمكن أن ندرکه من خلال ما جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو، وكان أشد الناس يومئذ بأساً)^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)^(٢).

ويوم حنين لما التقى المسلمون والكفار ولّى بعض المسلمين مدبرين، والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يفر، بل بقي يقاتل وهو يقول: (اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرها نوالاً، وتجالد المسلمون والمشركون، فلما رآهم النبي قام في ركابي سرجه حتى أشرف على جماعتهم وقال: الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن ولّى القوم أدبارهم وجيء بالأسرى إلى رسول الله مكتفين)^(٣).

(١) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٢٤.

(٢) صحيح البخاري: ج ٥، ص ١٧٢.

(٣) الارشاد: ج ١، ص ١٣٣.

وعن أنس قال: (كان رسول الله أشجع النَّاسِ، وأحسن النَّاسِ، وأجود النَّاسِ، قال: فزرع أهل المدينة ليلةً فانطلق النَّاسُ قِبَلَ الصوت، قال: فتلقَّاهم رسول الله وقد سبقهم وهو يقول: لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، قال: فجعل يقول للنَّاسِ: لم تراعوا وجدناه بحراً، أو أنَّه لبحر) (١).

تَشَاوِرُهُ ﷺ وَالرَّيْثَةَ

قال تعالى موجهاً خطابه إلى نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٢).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، قال رسول الله: أما أن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمةً لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غياً (٣).
ولأهمية التشاور فقد وردت الأحاديث الكثيرة في الحثِّ على التشاور، كقول الرسول ﷺ: (استرشدوا

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣٢.

(٢) آل عمران: آية ١٥٩.

(٣) الصحيح من سيرة النبي: ج ٦، ص ٨٩.

العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا^(١)، وقوله ﷺ: (من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشده فقد خانته)^(٢)، وقول الإمام الحسن عليه السلام: (ما تشاور قوم قط إلا هدوا وأرشد أمرهم)^(٣).

وهذا دليل واضح على أهمية التشاور، فالإنسان فقير بنفسه، غني بإخوانه وأقرانه، فهو لو حده ضعيف، وبتفرده في رأيه متسلط ومنبوذ، وبانطوائيته وانعزاله إمّا متعال أو مريض.

وكما أن الرسول ﷺ يحث أصحابه على التشاور، فهو أكثرهم تشاوراً كما روي عن أبي هريرة أنه قال: (ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله)^(٤).

وقيل: إن النبي ﷺ قد شاور أصحابه في أكثر من مرة ومناسبة، حتى نزل في مناسبة حرب أحد قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا

(١) الأملالي: ص ١٥٣.

(٢) المستدرک: ج ١، ص ١٠٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٠٥.

(٤) السنن الكبرى: ج ٩، ص ٢١٨.

الْقَلْبِ لَانْفُصُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴿١﴾ .

ومن ذلك أيضاً استشارته لأصحابه في غزوة
الخنندق^(٢)، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق
على ثلث ثمار المدينة^(٣).

رفقه صلى الله عليه وآله وسلم :

كان صلى الله عليه
وآله وسلم لا يترك أحداً حتى يرضيه، وإذا غضب
عليه إنسان ثم رضي عنه كان يطلب منه أن يعلن
لأصحابه أنه رضي عنه.

وقد ورد: أن أعرابياً جاءه يوماً يطلب منه شيئاً
فأعطاه صلى الله عليه
وآله وسلم ثم قال له: **أحسنْتُ إليك؟** فقال الأعرابي:
لا ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه،
فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) معالم المدرستين (مرتضى العسكري): ج ١، ص ١٧٤ .

(٣) الإرشاد (الشيخ المفيد): ج ١، ص ٩٦ .

الأعرابيّ وزاده شيئاً، ثمّ قال ﷺ: أحسنتُ إليك؟ فقال الأعرابيّ: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له النبيّ ﷺ: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتّى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال: نعم، فلمّا كان من الغد أو من العشيّ جاء فقال النبيّ ﷺ: إنّ هذا الأعرابيّ قال ما قال، فزدناه فزعم أنّه رضي لذلك، فقال الأعرابيّ: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال ﷺ: إنّ مثلي ومثل هذا الرّجل الأعرابيّ كمثّل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها النّاس فلم يزيدها إلا نفورا، فناداهم صاحب الناقة خلّوا بيني وبين ناقتي فإنّي أرفق بها وأعلم، فتوجّه إليها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردّها هونا هونا حتّى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها، وإنّي لو تركتكم حيث قال الرّجل ما قال، فقتلتموه دخل النّار^(١).

(١) المحجة البيضاء: ج ٤، ص ١٤٩.

مواساته ﷺ للمحرومين :

عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلي ثوبه ﷺ، فحمل إليه اثني عشر درهماً، فقال: يا علي خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه، قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشترت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فنظر إليه فقال: يا علي غير هذا أحب إلي، أترى صاحبه يقي لنا؟ فقلت: لا أدري، فقال: انظر، فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه، فرد علي الدراهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ فمشى معي إلى السوق لبيتاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنك؟

قالت: يا رسول الله إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاغت فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاه رسول الله ﷺ أربعة دراهم،

وقال: ارجعي إلى أهلك، ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر، فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟ قالت: يا رسول الله إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني، فقال رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني على أهلك، فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟ قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ:

إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها، فقالوا:
يا رسول الله هي حرة لممشاك، فقال رسول الله ﷺ:
الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من
هذه، كسى الله بها عريانين، وأعتق بها نسمة^(١).

عدم الظلم:

عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن
أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (إن يهودياً كان له على رسول
الله ﷺ دنائير فتقاضاه، فقال له: يا يهودي ما عندي ما
أعطيك فقال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تقضييني،
فقال: إذا أجلس معك، فجلس معه حتى صلى في
ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة
والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه
ويتواعدونه، فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: ما
الذي تصنعون به؟ فقالوا يا رسول الله يهودي يجبسك؟
فقال ﷺ: لم يبعثني ربي عز وجل بأن أظلم معاهداً
ولا غيره، فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا

(١) الخصال: ص ٤٩١.

إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب، ولا متزين بالفحش، ولا قول الخناء، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله ﷺ، وهذا مالي، فاحكم فيه بما أنزل الله، وكان اليهودي كثير المال، ثم قال عليه السلام: (كان فراش رسول الله ﷺ عباءة، وكانت مرفقته أدم حشوها ليف، فثنيت له ذات ليلة، فلما أصبح قال: لقد منعني الفراش الليلة الصلاة، فأمر عليه السلام أن يجعل بطاق واحد)^(١).

(١) الأمامي (الشيخ الصدوق): ص ٥٥٢.

توكله على الله تعالى:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش، فدخلها في ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول: (اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً، اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً، اللهم ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً، اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً)، قال: فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبكائها فقال لها: ما يبكيك يا أم سلمة؟ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تسأله أن لا يشمت بك عدواً أبداً، وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع منك صالحاً أعطاك أبداً، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً؟ فقال: يا

أم سلمة وما يؤمنني؟ وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان^(١).

زهده ﷺ في الدنيا:

عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام: (أن رسول الله ﷺ لم يورث ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة ولا شاة ولا بعيراً، ولقد قبض ﷺ وأن درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقة لأهله)^(٢).

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: أتاني ملك فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام، ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً، قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا رب أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك)^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٥٥.

(٢) قرب الإسناد (الحميري القمي): ص ٩١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٣.

خاتمة صلى الله عليه وآله

هكذا كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه وأُمَّته، لقد كان يتعامل مع جميع الناس بعاطفة أبوية تتفجّر حباً وعظفاً وحناناً ورحمة، بالرغم من مركزه القياديّ في الأُمَّة ومكانته السامية، وقد كان هذا السلوك النبويّ المحمّديّ الأصيل، وتلك الأخلاق والخصائص النبيلة التي توافرت في شخصيته العظيمة أحد أهم العوامل في انتصار الإسلام وسرعة امتداده وانتشاره ونفوذه إلى عقول وقلوب الناس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

من خلال ما تقدّم علمنا أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد جمع مكارم الأخلاق، كما وصفه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وإننا مهما حاولنا أن نتكلّم عن شخصيته صلى الله عليه وآله فلا يمكن لنا أن نفي حقّها، لأنّ هذه

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١.

(٢) سورة القلم: آية ٤.

الشخصية قد بلغت درجاتٍ ومراتبٍ يعجز البشر العادي عن إدراكها، وإن كان هذا لا يمنع من التعرف على السلوك الظاهري لها من خلال ما تقوم به من ترجمة لهذا السلوك على أرض الواقع.

هذا السلوك العظيم الذي تمثّل بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكاملة، بل كان ترجمةً عمليةً للقرآن الكريم، أمراً ونهياً وسلوكاً وخلقاً، فما أمر به القرآن قام الرسول ﷺ بفعله، وما نهى عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم والتواضع والبشر واللين وكل خلق جميل، هذه الأخلاق التي يجب علينا التمسك بها، وتطبيقها تطبيقاً عملياً، من أجل إصلاح دنيانا وآخرتنا، في عصرٍ كثرت فيه المتغيرات، وتسارعت فيه المستجدات، وبدأ فيه الدين يعيش غربته، وكثرة أعدائه.

وبناءً على ذلك يجب على كلّ مسلم أن يكون في

خدمة دينه وعقيدته، ويربِّي نفسه ليكون حارساً على أيِّ ثغر من ثغور المسلمين، من خلال التحلِّي بأخلاق الرسول ﷺ، وإتباع سنته، أي لابد للمجتمع الإسلامي أن يلتمس الطريقة المثلى للدعوة إلى الدين وإحياء سنة الرسول ﷺ، إحياءً عملياً حقيقياً، لا صورياً وشكلياً؟! فإنَّ الأُمَّة الإسلامية اليوم بأمس الحاجة في هذه اللحظات الحاسمة من مسيرتها إلى التمسُّك الصحيح بسيرة رسولها ﷺ وسنته، والاتصاف بأخلاقه وشمائله، والتعايش في محبة وتآلف ووثام، وبذلك يتحقق هدف الإسلام الأسمى، المتمثل بتأسيس حكومة الله في الأرض، وعبادته كما يستحق العبادة، وترسيخ مبادئ العدل والوحدة والسلام.

فمن أراد أن يمضي على سيرة الرسول ﷺ ويتخلَّق بأخلاقه، فليحاول أن يجعل حياته كلها تطبيقاً عملياً لحركته وسيرته، فإنَّ حياة الرسول ﷺ مليئة بالمواقف العملية، التي تعرب عن أسمى معاني السيرة والخُلُق

والسلوك.

كما أن التآسي بسيرته ﷺ والتحلي بأخلاقه، من الواجبات التي إذا أداها المسلم نفعه الله به، وأسعده بشفاعته، وأكرمه بورود حوضه، وسقاه من ماء كوثره، فمن كان محباً للرسول ﷺ وصادقاً في حركته نحو الله تعالى، عليه أن يتخلق بأخلاقه ويستن بسنته. وبهذه الكلمات نُنهي هذه الوريقات داعين المولى أن يوفق الجميع لما يحبُّ ويرضى، إنَّه ولي التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله
على محمد وآله الطيبين الطاهرين

الفهرس

- مقدمة ٥
- نسبه الشريف: ٩
- ولادته ﷺ والرستة: ١٢
- أوصافه وشمائله ﷺ والرستة: ١٦
- آدابه ﷺ والرستة: ٢٣
- أخلاقه ﷺ والرستة في آيات الذكر الحكيم: ٢٧
- الخلق العظيم: ٣٠
- مكارم الأخلاق: ٣٣
- حلمه ﷺ والرستة: ٣٦
- عفوه ﷺ والرستة: ٣٨
- صدقه وأمانته ﷺ والرستة: ٤٠
- عدالته واستقامته ﷺ والرستة: ٤٦
- رحمته ﷺ والرستة: ٥٠
- تواضعه ﷺ والرستة: ٥٤
- صبره ﷺ والرستة: ٥٨
- شجاعته ﷺ والرستة: ٦١

- ٦٣.....: تشاوره صلوات الله عليه وآله
- ٦٥.....: رفقه صلوات الله عليه وآله
- ٦٧.....: مواساته صلوات الله عليه وآله للمحرومين:
- ٦٩.....: عدم الظلم:
- ٧١.....: توكله صلوات الله عليه وآله على الله تعالى:
- ٧٢.....: زهده صلوات الله عليه وآله في الدنيا:
- ٧٣.....: خاتمة صلوات الله عليه وآله:

